مارسيل تشيريزى (إسرائيل سابقا)
ردا على أسئلة المؤلف

إلى الرفيق المؤرخ (رفعت السعيد)

مقدمة:

أولا: بالرغم من أننى قد أبعدت عن مصر منذ أكثر من عشرين سنة، سأحاول جاهدا أن أرد على أسئلتك باللغة العربية، وأنا واثق من تسامحك فيما يختص بالأخطاء اللغوية والسبب فى تفضيلى لكتابة بعض ذكرياتى الخاصة بحياتى وكفاحى فى مصر باللغة العربية هو طموحى إلى أن أظل محتفظا بمصرية نضالى وانتمائى.

ثانيا: أنا كما تعلم عضو فى الحزب الشيوعى الإيطالى، وأخضع بطبيعة الحال لنظام ولائحة الحزب ولذلك لا أستطيع أن أتدخل فى المسائل الخاصة بالحركة الوطنية المصرية وبما أن أى حديث عن الماضى يمتد دائما إلى الحاضر وخاصة إذا تعلقت المسألة بالحركة الثورية المصرية والتى تميزت بالسرية والانقسامات، لذلك كان الدافع لكتابة هذه الذكريات هو الشعور بأداء واجب نحو هذه الحركة التى أتشرف وما زلت أتشرف بأننى كنت فى يوم من الأيام عضوا فى صفوفها.

وسأحاول بقدر الإمكان (وهذا أمر بالغ الصعوبة) تجنب كل تفسير أو أحكام قد تستطيع أن تعيد إلى الحياة منازعات قديمة، مع الحرص فى نفس الوقت على ألا أقع فى عملية تجميل للواقع بتغطية جوانبه السلبية.

فأرجو أن تعتبر كل المعلومات التى أقدمها إليك مادة أولية لاستعمالها بعد التأكد من صحتها وتحت مسئوليتك فى عملك كمؤرخ.

ثالثا: إن كافة التحليلات والآراء والمنظمات السياسية التى أدافع عنها هنا، تخص الماضى، ولذا لا أتحمل مسئولية فيما يختص بتفسيرها أو تطبيقها على الواقع الحاضر للحركة.

رابعا: أرجو أن تعلم أننى بمجرد وصولى إلى إيطاليا قد استرجعت بأمر من رئيس الجمهورية الإيطالية اسم العائلة الأصلى (شيريزى) وهذا لاستبعاد أية اختلاط أو صلة بينى وبين دولة إسرائيل - حتى ولو اسميا - لأننى قد كافحت وما زلت أكافح ضد سياستها العدوانية تجاه الشعوب العربية.

فأرجو الإشارة إلى اسمى (مارسيل شيريزى) - إسرائيل سابقا .

خامسا: حرصت على أن أكون موضوعيا فى كتابة هذه المذكرات، ولم أكن متواضعا وهذا يرجع إلى أننى أعتبر أن التواضع هو أخطر أشكال التفاخر.

* * *

بعض المعلومات عن حياتى:

ولدت فى القاهرة بشارع طور سينا، وهو شارع شعبى بحى الظاهر فى ١٩١٣/٧/١٧، وأنتمى عن طريق والدى إلى عائلة إيطالية هاجرت إلى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر، وقد جاء جدى إلى مصر بناء على فرمان من السلطان العثمانى لتعيينه رئيسا لطائفة اليهود بمصر، ثم أصبح فى عهد الخديوى إسماعيل عضوا فى المجلس الاستشارى، وتحول بعد ذلك بطبيعة منصبه إلى أحد كبار الملاك الإقطاعيين بمنطقة ميت غمر، وقد كان والدى متمصرا إلى حد كبير وكان معظم أصدقائه من المصريين (وأذكر من بينهم - يوسف الجندى،. إمبراطور زفتى) وكان والدى يتكلم اللغة العربية ويرتدى الطربوش ولم يتخلف مرة واحدة عن حضور حفل غناء لصالح عبد الحى، وفى نهاية الحرب العالمية الأولى فقد أبى كل ثروته وأصبح موظفا فى شركة للحليج بصفته فرازا للقطن.

أما والدتى فكانت من أصل إيرانى وكانت أمها - أى جدتى - تتكلم اللغة العربية وترتدى إلى آخر أيام حياتها عند الخروج الملابس المصرية الشعبية (الملاءة) و(الحبرة).

عشت السنوات الأولى من حياتى بميت غمر، وكانت لدى الأسرة جارية تقوم بتربيتى وكان اسمها (نصرة) وكانت جدتى قد اشترتها، وقد تحررت نصرة بعد ذلك ورجعت رغم هذا لتعيش معنا، وقد ارتبطت بهذه الجارية وكنت أحبها حبا عميقا، وكانت تمثل فى ذهنى الكرامة والرزانة الكاملة.

اختلطت فى شبابى بالفلاحين فى ميت غمر وميت بره وطلخا والعديد من العزب

المحيطة وكنت أشعر بتعاطف شديد معهم (دون أى مضمون سياسى) وأشفق عليهم من القسوة والشقاء والبؤس الذى كان يلازمهم بشكل دائم.

بدأت حياتى الدراسية بمدرسة (الفرير المسيحية) فى الظاهر حيث كان ممنوعا منعا باتا التحدث باللغة العربية، ثم انتقلت إلى مدرسة (الليسيه فرانسيه) حيث حصلت على دبلوم عال فى التجارة والاقتصاد. وتوظفت بعد ذلك بأحد البنوك وانتسبت إلى كلية الحقوق الفرنسية حيث درست القانون والعلوم الاجتماعية، ولكننى غادرت الكلية قبل الامتحان النهائى، كان ذلك دون شك تطرفا يساريا ورومانتيكيا. وكان لدى اهتمام كبير بجانب دراستى للعلوم الاقتصادية بدراسة الفلسفة وقد قرأت العديد من الكتب والمراجع الفلسفية ومن بين من قرأت لهم ابن رشد وابن سينا وابن ميمون وابن خلدون الذى شدنى إليه تحليله العلمى للظواهر التاريخية.

وقد أثر على بشكل كبير قبل دراستى للماركسية كل من الكاتب الروسى (ليو تولستوى) والفيلسوف الكبير (سبينوزا) وإذا كان سبينوزا قد جلعنى أؤمن قبل كل شىء بالعقل الإنسانى، فقد جعلنى تولستوى أنظر إلى أى إنسان كأخ يجب احترامه ومحبته بل والتضحية من أجل سعادته. وقد تأثرت أختى فى نفس الوقت بآراء تولستوى مما أدى إلى اعتناقها للدين المسيحى وتحولها إلى راهبة ولا تزال، أما أنا فقد أصبحت ولا أزال شيوعيا.

*** كيف أصبحت شيوعيا؟**

أول إحساس شديد بكراهية المجتمع الرأسمالى وضرورة الثورة عليه، وقع فى نفسى بأحد مصانع الحليج، ففى أوائل كل موسم كان المقاولون يقومون بجمع آلاف الأطفال والغلمان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٦ سنة وشحنهم إلى مصانع الحليج للعمل بها، وكان يوم العمل يتجاوز ١٥ ساعة، وكان الملاحظون والمراقبون يتجولون داخل المصنع ويضربون الأطفال بالكرابيج لأقل وأتفه الأسباب، وفى نهاية الموسم كان عدد كبير من هؤلاء الصبية يتوفون نتيجة لإصابتهم بمرض السل والأمراض الناتجة عن استنشاق غبار القطن وأيضا من المجهود الشديد الذى يبذلونه فى العمل وسط ظروف بالغة القسوة.

وكنت ذات يوم فى زيارة لوالدى بمصنع للحليج كان يعمل فيه، وقد شاهدت واقعة ضرب شرسة لطفلين بالكرابيج، وأمام صرخات الطفلين لم أملك سوى أن أهجم على

مراقب العمل وأنتزع السوط من يده، وقد حاول أن يقنعنى بعد ذلك بأن ضرب الأطفال شىء ضرورى وإلا فسوف يتفرغون للضحك واللعب وينصرفون عن العمل، وقال لى إنه يتقاضى مرتبه من أصحاب العمل للقيام بضرب الأطفال من آن لآخر.

شعرت منذ تلك الحادثة بظلم المجتمع القائم، وأدركت أنه مبنى على استغلال الأغنياء للفقراء.

جذبتنى دائما المظاهرات الجماهيرية، وكنت أنشد دائما السير وسط الجموع الصاخبة فاشتركت فى المظاهرات الوفدية ضد دكتاتورية الملك وعميله صدقى (١٩٣٠) وقد أصبت فى العديد من المرات بضربات الهراوات وعصى البوليس.

وفى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ اشتركت فى المظاهرة الكبرى وكنت فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) أثناء اعتداء الجيش على المتظاهرين بالدبابات، ورأيت دبابات الجيش والجنود يهاجمون الشباب ويقتلون الكثير منهم.

وقد أثر موقف (ديمتروف) من قضية الريشستاج سنة ١٩٣٣/١٩٣٤ فى نفسى تأثيرا كبيرا مما جعلنى أتوجه لقراءة الكتب الشيوعية.

أول كتاب ماركسى درسته كان كتابا عنوانه «المادية التاريخية» لبوخارين، ثم بعد ذلك قرأت «البيان الشيوعى»، ثم «رأس المال»، وعندما كنت أقرأ الصفحات التى كان ماركس يتكلم فيها عن استغلال الأطفال فى مصانع النسيج الإنجليزية كنت أرى أمامى عيون الأطفال المصريين الباكية فى مصانع الحليج.

وفى سنة ١٩٣٤ أصبت بمرض (الربو) وكان مرضى شديدا لدرجة أننى لم أكن أحيانا أستطيع أن أتنفس، فقدمت استقالتى للبنك الإيطالى الذى كنت أعمل به، وظللت بلا عمل لمدة ٣ سنوات ولم ألتحق بأى عمل آخر، بل قضيت السنوات الثلاث فى دراسة النظرية الماركسية. وأستطيع أن أقول بأن مرض الربو هو الذى أتاح لى أن أتفرغ لدراسة الكتب الماركسية بعمق وتوسع، بل لقد لعب ذلك المرض دورا مهما فى حياتى بعد ذلك فيما يتعلق باتصالى بالحركات الشيوعية المنظمة، إذ إن الأطباء كانوا قد نصحونى بالذهاب إلى لبنان فى صيف عام ١٩٣٥ وهناك التقيت برفيق شيوعى لا أذكر اسمه الآن، وكان منضما داخل الحركة الشيوعية بلبنان، وقد تناقشنا كثيرا فى النظرية الماركسية ولكن دون دخول فى الجوانب العملية.

عدت مرة ثانية إلى لبنان سنة ١٩٣٦ ووقع حادث جعل (فرج الله الحلو) يتصل بى، فقد حدث بينما كنت أتجول بإحدى القرى الجبلية واسمها (بحمدون) أن شاهدت شابا يعتدى على بائع حلوى، وكان هذا البائع بذراع واحدة وقد فقد ذراعه الأخرى نتيجة لحكم جزائى وقع عليه فى المملكة السعودية، اندفعت لأدافع عن بائع الكحك وأخذنا نتبادل أنا وذلك الشاب الضربات، وكان هذا الشاب ابنا لحاكم لبنان، وبعد مرور يومين حضر رجال البوليس إلى الفندق وطلبوا منى تقديم اعتذار لذلك الشاب فرفضت، فقامت جريدة حكومية تطالب بإبعادى عن لبنان، ودافعت عنى جريدة ديمقراطية، وتدخل بعد ذلك القنصل الإيطالى ولكن إزاء تصميمى على عدم الاعتذار انتهت المشكلة إلى لا شىء، اتصل بى فرج الله الحلو فى ذلك الوقت وقدمنى إلى شاب شديد الذكاء وقوى الشخصية وهو نيقولا شاوى - بسكرتارية الحزب الشيوعى اللبنانى الحالى - أخذت أجتمع لعدة مرات مع شاوى وآخرين من الرفاق بمنزل أحد الرفاق الفرنسيين، وقد قدمنى نيقولا شاوى إلى خالد بكداش ولرفيق أرمنى اسمه ميدويان، وقد قام نيقولا شاوى بإقناعى بأن واجب كل شيوعى يعيش فى مصر هو الاتصال بالعمال والمثقفين المصريين وإقناعهم بالنظرية الماركسية، وقد طلب منى قبل رجوعى إلى مصر بأن أرسل إلى جريدة «صوت الشعب» مقالات عن الواقع المصرى، وقد واظبت لمدة سنتين على كتابة مقالات للجريدة عن الأحداث العمالية والوطنية فى مصر، وفى نفس الوقت كنت أقوم بالكتابة لجرائد فرنسية تنشر فى مصر مقالات ضد الفاشية والنازية، ومقالات تأييد لقضية الجمهوريين فى إسبانيا ضد فرانكو وأيضا مقالات لتأييد الاتحاد السوفيتى. واتصل بى فى ذلك الوقت عضو من (جمعية السلام) ودعانى للانضمام إليها، وبعد مرور فترة قصيرة أصبحت ضمن قيادة الجمعية، التى كانت تقوم بنشاط ديمقراطى ولم تكن جمعية شيوعية. وقد قمت فى نفس الوقت بتجنيد عدد من الشبان الأجانب وبنشاط محدود فى الحركة الإيطالية المعادية للفاشية.

وفى صيف عام ١٩٣٧ عدت إلى لبنان لمعالجة المرض الذى كان يهاجمنى من آن لآخر نظرا للمجهود الشديد والنشاط الذى كنت أبذله، وتناقشت فى تلك الفترة مع الرفاق اللبنانيين فى موضوع نشاطات لجنة السلام، وقد انتقد الرفاق نشاط اللجنة نظرا لصبغته الأجنبية وعدم تكيفه مع ما يدور فى الواقع المصرى بخصوصيته، وقال الرفاق إن الواجب

الأساسى للماركسيين الأجانب فى مصر هو العمل على تكوين ماركسيين من بين العمال والمثقفين المصريين.

وعند رجوعى إلى مصر طلبت من سكرتير لجنة السلام، (وكنت متأكدا من أنه شيوعى) مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين، ولكنه أجاب بالرفض وعدم الرغبة فى مناقشة أى قضية عدا الدفاع عن السلام والكفاح من أجله.

وقد قمت بعد ذلك بتكوين تيار داخل لجنة السلام ينادى بتمصير نشاطها، وقد أدى ذلك إلى إبعادى عن لجنة السلام.

وفى نفس الوقت أخذ بعض أعضاء لجنة السلام يعتقدون بأننى تروتسكى، وأنا لم أكن ولو للحظة واحدة فى حياتى تروتسكيا، وقد كان الدافع وراء ذلك الاعتقاد هو أننى عبرت خلال الفترة من ١٩٣٧ – ١٩٣٨ أكثر من مرة عن دهشتى وتشككى فى صحة الاتهامات الموجهة ضد جميع أعضاء اللجنة المركزية البلشفية، ولكننى لم أبتعد قط عن مبادئ الدولية الثالثة وهذا موقف ما زلت أفتخر به للآن.

وفى سنة ١٩٣٧ قدمت طلبا إلى السفارة الإسبانية فى مصر للانضمام إلى الفرقة الدولية التى كانت تحارب ضد فرانكو ولكن السفير الإسبانى دعانى وأقنعنى بالتعاون مع القوى الديمقراطية الإسبانية للدعاية فى مصر ضد سياسة فرانكو وضد الفاشية عامة. وقد قمت بذلك بشكل دءوب ومستمر. وتعاونت فى ذلك الوقت مع آخرين لنشر كتاب بالعربية والفرنسية عن إسبانيا الجمهورية – حتى سقوط الجمهورية فى ١٩٣٩.

وباختصار فقد أصبحت شيوعيا:

– من خلال معايشتى للواقع المصرى، وليس باستيراد الشيوعية من الخارج.

– عن طريق حزب شيوعى ورفاق عرب وهم الرفاق اللبنانيون، وليس بمساعدة حزب أو تنظيم أجنبى.

وقد أشرت إلى هاتين النقطتين تفسيرا للاتجاه الذى دافعت عنه باستمرار والذى كان دائما هو الأساس لنشاطى العملى كشيوعى، ألا وهو محاولة الربط بين النظرية الماركسية والواقع المصرى الملموس.

عن دورى فى الحركة الوطنية المصرية:

لم يكن دورى فى الحركة إلا نتيجة لاقتناعى بالخط الذى يجب أن تبذل فيه كل جهودى

إلا وهو تكوين الكادر الماركسى المصرى القادر على تنظيم وقيادة العمال والفلاحين وجميع الكادحين للانتصار فى معركة التحرر الوطنى والاجتماعى.

وكان الدور الذى أقوم به للتعاون من أجل تحقيق ذلك الهدف منصبا على الدعاية وعلى التدريس النظرى للماركسية، وبالرغم من الرأى المنتشر فأنا لم ألعب دورا قياديا فى المنظمات المختلفة التى كافحت فيها طوال عشرين سنة باستثناء فترات قصيرة.

أما بخصوص دورى السياسى فى الحركة فقد كان استجابة لمنطلقين أساسيين:

الأول: السعى لتوحيد المنظمات الشيوعية على أسس ثورية.

الثانى: ربط عملية توحيد الحركة بعملية تأسيس الحزب.

وإننى أعتبر أن الدور الذى لعبته فى تنظيم مؤتمر ١٩٤٨ السرى (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) والتقرير الطويل الذى قدمته فى هذا المؤتمر، ثم الدور الذى قمت به فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب سنة ١٩٤٩ هما أهم ما قمت به أثناء فترة كفاحى فى مصر.

وأخيرا أضيف إلى ذلك الجهود التى كنت أبذلها داخل السجون فى فترات الاعتقال مع الرفاق من سائر التنظيمات لتنظيم وإعداد المحاضر والدروس الماركسية.

الكتب والأبحاث التى كتبتها:

١ - كتيب باللغة الفرنسية عن حركة السلام العالمية، وحركة السلام بمصر سنة ١٩٣٨.

٢- كتاب يشتمل على مناقشاتى مع العمال وتحليلاتى واستنتاجاتى المستخلصة من فترة وجودى بمصنع المعصرة، وقد أفادنى هذا الكتاب كثيرا فى معرفة الواقع المصرى من وجهة نظر العمال، وإلى حد ما من وجهة نظر الفلاحين (إذ إن معظم عمال المعصرة كانوا فلاحين أو من أصول فلاحية وفى كل الأحوال كانت هناك روابط وثيقة بينهم وبين الفلاحين).

٣ - كتاب لشرح النظرية الماركسية عنوانه «تفسير العالم» وكان يشتمل على دراسات عن المادية الجدلية وعن تطور المجتمعات وعن العلاقات الإنتاجية كأساس تحتى للمجتمع وعن الدولة وجميع الأبنية الفوقية مثل القانون والعلوم والفن والدين (وكنت أتناول الدين بمفهوم علمى فحسب)... إلخ (كتب سنة ١٩٤١).

٤ – كتاب عنوانه «تغيير العالم» أو المسائل العملية والنظرية للثورة المصرية. وكان الكتاب يتكون من أربعة أجزاء:

(أ) تكوين الكادر الماركسى المصرى.

(ب) تحليل الواقع المصرى الاقتصادى والاجتماعى والسياسى.

(ج) الاندماج بالحركة العمالية.

(د) الاندماج مع الفلاحين. (كتب سنة ١٩٤١).

٥ – بحث عن مشكلة الفلاحين فى مصر (١٩٤٤).

٦ – بحث عن الصناعة فى مصر (١٩٤٤).

٧ – تقرير تفصيلى عن مشكلة الوحدة بين المنظمات (١٩٤٥).

٨ – دراسة عن تاريخ اليهود فى مصر ودورهم السياسى ووسائل تحويلهم من حليف للاستعمار إلى حليف للشعب المصرى فى كفاحه الوطنى والاجتماعى (١٩٤٧).

٩ – «بيان اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية» باللغة العربية واللغة الفرنسية، وهذه اللجنة كنت قد كونتها أثناء مسئوليتى عن قسم الأجانب بمنظمة «حدتو» (١٩٤٧).

١٠ – وقد كتبت مقدمات للعديد من الكتب، وأتذكر من بينها لأهميته التقرير الذى قدمه زادانوف إلى الكومنفورم عن تقسيم العالم إلى معسكرين (١٩٤٨).

١١ – بحث تاريخى عن أسباب الانقسامات التنظيمية فى مصر وعدم القيام بتأسيس حزب شيوعى وعنوان البحث «تصفية الحزب قبل تأسيسه»، وقد اعتبره شهدى عطية مثالا للتطبيق الصحيح للجدلية على الواقع المصرى (١٩٤٨).

١٢– بحث عن واقع وضع الحركة المصرية وطريقة توحيدها، وقد أصبح ذلك البحث الأساس الذى اعتمدت عليه فى التقرير الذى قدمته إلى مؤتمر (١٩٤٨) (مؤتمر الثلاثة وثلاثين)، وكان البحث يشير إلى خطأ الفصل بين عملية توحيد الحركة عملية تأسيس الحزب، وقد تضمن اقتراحا بتكوين لجنة تحضيرية بين جميع التنظيمات للدعوة لعقد مؤتمر تأسيس الحزب على أساس مناقشة البرامج واللوائح والخطط السياسية.

١٣– بحث تفصيلى عن خطورة نظرية الكتل (١٩٤٨).

١٤– اشتركت مع رفيق فى كتابة بحث مطول عنوانه «مهمات الحركة الشيوعية المصرية» وكان البحث يحدد هذه المهمات وفق تحليل لطبيعة المرحلة القادمة للثورة المصرية (١٩٤٩).

١٥- الاشتراك فى تحضير لمشروع برنامج الحزب الشيوعى المصرى (١٩٤٩).

وقد كتبت العديد من المقالات السياسية والنظرية نشرت فى المجلات والنشرات السرية والعلنية، كما اشتركت مع رفاق آخرين فى كتابة عدة كتب وأبحاث، ولسوء الحظ فإننى لا أملك الآن نسخة واحدة مما كتبته فقد صادرها البوليس، إما قبل أو بعد نشرها، كما صادر البوليس أيضا مكتبتى الماركسية التى كانت تضم مئات الكتب.

*** طريقتى فى تجنيد وتكوين الكادر:**

أولا: الاتصال بالعديد من العمال والمثقفين المصريين، ثم اختيار العناصر المخلصة والذكية، بصرف النظر عن آرائهم السياسية (فقد استطعت تجنيد عدد كبير من أعضاء حزب مصر الفتاة).

ثانيا: معاملتهم على أساس المساواة والصراحة والاحترام وليس على أسس أبوية أو (طبطبة) ودون أى تنازل عن المبادئ.

ومثال على هذا المنهج فى التعامل يتضح من الموقف التالى:

فى أواخر عام ١٩٤٨ اتصل بى الرفيق شهدى عطية وطلب منى أن ينضم إلى تنظيم العمالية الثورية، وكانت هذه مرحلة كفاح عنيف بين المنظمات المختلفة، وخاصة فى مجال التجنيد، وكانت كل المنظمات تسعى إلى جذب الرفاق الآخرين إليها من المنظمات الأخرى، وكنت أكن لشهدى تقديرا كبيرا منذ اللحظة الأولى التى عرفته فيها، كان الفقيد شهدى فى رأيى نظرا لإخلاصه وذكائه ولشخصيته الشعبية هو الرفيق الذى يستطيع أن يصبح فى يوم من الأيام سكرتيرا للحزب، من الواضح أن انضمام شهدى إلى العمالية الثورية كان يمثل مكسبا كبيرا لهذه المنظمة إلا أننى أجبت على طلبه على النحو التالى:

بما أنك قد قمت بتكوين أول تكتل فى مصر، وبما أن التكتلية خطر يهدد التنظيم الشيوعى فى أساسه، فلا بد قبل الموافقة على انضمامك إلينا أن تعترف بخطأ النظرية التكتلية وأن تستنكرها.

وكان شهدى قد اقتنع بعد قراءة البحث الذى كتبته عن خطر نظرية التكتل على وحدة الحركة بأنها نظرية معادية لإقامة تنظيم شيوعى قوى، فوافق على ذلك الشرط الذى قدمته، وكتب مقالة يستنكر فيها نظرية التكتلات ونشر المقال فى جريدة «الكادر العمالى»، وكان له أثر كبير بين جميع الرفاق، وفى نفس العدد أعلن عن انضمام شهدى إلى المنظمة.

ثالثا: كنت أتبع طريقة فى الإقناع تتلخص فى ربط قضية التحرر الوطنى، وهى القضية السائدة فى ذلك الوقت، بقضية التحرر الاجتماعى، وهذا عن طريق تحليل للحركة الوطنية وإبراز مضمونها الطبقى، وكذلك عن طريق شرح الدور الذى يقوم به الاتحاد السوفيتى فى مكافحة الاستعمار، كما أن المبادئ الماركسية كانت ترد فى الحوار دون إقحام غير مبرر وفى ارتباط متين بظواهر وأمثلة مستخرجة من الواقع المصرى الحى المتطور.

رابعا: وعند تدريس الماركسية كنت أستخدم لغة شعبية (وهى اللغة التى أتحدث بها طبيعيا) وكنت أتكلم بحماس، وكنت أجعل الحاضرين يدركون أننا بالرغم من ضعفنا جزء من الحركة الشيوعية أو العمالية التى تكافح فى كل مكان من أجل تحرير البشر، وفى نفس الوقت كنت أجعلهم يشعرون بأن حركتنا، بالرغم من الصعوبات، وبالرغم مما تتلقاه من ضربات الرجعية والاستعمار، ليست موسمية أو مؤقتة بل هى حركة تاريخية لا بد من انتصارها عبر تطور المجتمع الإنسانى.

ولقد قمت بتجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين والسودانيين أرى من الأفضل عدم ذكر أسمائهم.

*** خبرتى التنظيمية:**

بما أننى لم ألعب دورا قياديا فى المنظمات المختلفة (باستثناء فترة قصيرة) فإننى لم أقم بدور تنظيمى مهم.

وبما أن التنظيم يخضع للخط السياسى فقد عملت على أن أطبق فى المرحلة الأولى من نشاطى الأسس التالية:

‹ تكوين تنظيم سرى يقوم على أساس المركزية الديمقراطية فى حدود السرية وتكون قيادته مصرية.

‹ تنظيم الرفاق المصريين والرفاق الأجانب كل على حدة.

‹ إصدار جريدة سرية للكادر.

‹ تكوين منظمات علنية ونشر دوريات ومجلات مختلفة تستفيد من جميع الإمكانات القانونية والشرعية.

وكنت أحاول طبعا الاستفادة من خبرات الأحزاب الأخرى. وكنت أسعى إلى تطبيقات

توافق الواقع المصرى وتبتعد عن الجمود النظرى، مثال ذلك الاقتراح الذى قدمته سنة ١٩٤٠ بصدد تطوير الاتصال بالجماهير عن طريق خلق نوعين من الخلايا:

الأول على أساس المصانع ومواقع العمل.

والثانى على أساس المقاهى البلدية التى تنتشر فى جميع الأحياء الشعبية. وقد أدى ذلك الاقتراح إلى أن أحد الرفاق قد قال إن هذه ليست ماركسية بل مارسيلية.

وفيما يختص بسرية العمل واحترام احتياطات الأمان وقواعده فإننى كنت أنادى دائما بذلك من الناحية النظرية إلا أننى كنت لا أبالغ فى تطبيق هذه القواعد حتى لا تصبح قيودا تمنعنى عن النشاط والحركة، ولكى لا يتهمنى أحد بالخوف كما حدث بعد رجوعى من فلسطين عام ١٩٤٤.

وفى شهر يوليو ١٩٤٨، وبينما كنت أعيش مختفيا، كلفت تحضير مؤتمر الثلاثة وثلاثين فى حلوان، وقد نجحت فى هذه المهمة واجتمعنا لمدة يومين فى منزل قائد عسكرى، وقد تناقشنا دون انقطاع وبجدية كاملة حول كل المسائل ورجعنا إلى القاهرة دون مراقبة أى من المشتركين فى المؤتمر بالرغم من الجو الإرهابى الذى أشاعه النقراشى باشا.

وقبل ذلك فى عام ١٩٤٧ عندما أصبحت نائب مسئول مكتب الدعاية فى «حدتو» قمت بتنظيم المكتب على أساس لجان طبقا للمهمات المختلفة.

واشتركت بعد ذلك فى تنظيم العمالية الثورية.

أما آخر مهمة تنظيمية قمت بها قبل القبض على وأبعادى عن مصر فكانت تنظيم اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب، وقد اشتركت فى هذه اللجنة جميع التنظيمات عدا تكتلاً صغيراً.

*** أسباب انقسام الحركة فى مصر:**

ليست الحركة المصرية هى الحركة الوحيدة التى تميزت بالانقسامات فحركات عديدة ولا سيما فى البلاد التى كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطانى عانت أيضا من تاريخ حافل بالانقسامات.

أما فيما يختص بالحركة الشيوعية فى مصر فإن السبب الأساسى فى انقسامها هو أن أول منظمة شيوعية تكونت سنة ٣٤/٣٥ بعد انهيار الحزب الشيوعى المصرى الأول لم تتبع خطة إعادة تنظيم الحزب بحجة أن الظروف الموضوعية فى مصر لم تكن ناضجة

لإعادة تأسيس الحزب، مما منع هذه المنظمة من أن تصبح مركزا يبلور جميع الاتجاهات والتيارات التقدمية التى كانت الظروف الموضوعية المناسبة فى ذلك الوقت تخلقها تلقائيا، وبذلك تكونت على حدة، بمرور الوقت، العديد من المنظمات. فنظرية المنظمات، وليس الحزب، ساعدت على استمرار حالة الانقسام، فحتى سنة ١٩٤٨ لم يفكر أى تنظيم فى تكوين الحزب مما كان يعنى عمليا النشاط دون برنامج ودون لوائح ودون خطة استراتيجية وتكتيكية.

*** الاعتقال والسجن:**

قبض البوليس على لأول مرة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ مع عدد من الرفاق المصريين، وبعد مرور شهرين أفرج عن جميع الرفاق بينما استمر اعتقالى ونقلنى البوليس إلى معتقل الإيطاليين الفاشيين باعتبارى إيطالياً خطراً على الأمن العام.

وأثناء فترة الاعتقال قمت بتأليف كتاب «المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية» كما أرسلت عدة مقالات لمجلة «المجلة الجديدة»، وكنت أخرج أسبوعيا تحت الحراسة بتوسط من الرفيق أبو بكر حمدى سيف النصر بحجة الذهاب إلى المستشفى فكنت أجتمع عادة مع الرفاق وأتناقش معهم.

وداخل المعتقل قمت بعمل دعاية مضادة للفاشية بين المعتقلين الإيطاليين، وقد أدى ذلك إبان انتصار روميل فى هجومه على مصر إلى عزلى داخل المعتقل، بل وأيضا تهديدى بالإعدام، وقد احتجت جمعية الإيطاليين المعادين للفاشية على اعتقالى وسط الفاشيين كما ناضلت أيضا من أجل الإفراج عنى مما أدى إلى الإفراج عنى وإبعادى عن مصر.

وبين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٨ قبض على عدة مرات ولكن كنت أحتجز لأيام قليلة فى الأقسام، وفى شهر مايو ١٩٤٨ استطعت الهروب قبل القبض على وواصلت الكفاح السرى حتى أوائل شهر أبريل ١٩٤٩.

وكانت هذه الفترة أنشط وأجمل فترة فى حياتى الكفاحية، كنت أعيش متنكرا لدرجة أن والدتى لم تتعرف على، غيرت مسكنى ٢٨ مرة وكنت غالبا أسكن الأحياء الشعبية، وكنت أعيش مع رفاق آخرين عادة، وقد هاجم البوليس مرتين مقر اختفائى إلا أننى استطعت الهروب، وقد حدث ذات مرة عند ذهابى إلى منزل أحد الرفاق أن فوجئت بأن البوليس قد هاجم المنزل قبل وصولى بقليل وعند دخولى إلى باب المنزل واجهنى بعض

رجال البوليس فوجهت إليهم التحية بكل جدية ووقار رسمى، كما يفعل كبار الضباط، فردوا التحية بمنتهى الاحترام واستطعت أن أفلت بصعوبة من القبض على. وهنا أحب أن أذكر أننى قد اختفيت مع الرفيق شهدى عطية، ولم يكن شهدى يغادر المنزل فكنت أقوم أنا عمليا بدور عضو الاتصال (رغم حملة البحث عنى) وكنا نتناقش كل يوم لساعات عديدة فى جميع المسائل، وحدث ذات يوم أن طال النقاش بينى وبينه أكثر من عشر ساعات حول نقاط خاصة بتحليل مصر الاقتصادى، وذهبت للنوم مجهداً وفى الصباح جاء شهدى وطلب منى أن أستمع إلى قراءة كتاب من ١٠٠ صفحة تقريبا كان قد تمكن من كتابته أثناء الليل.

كان هناك مصنع صغير بجوار مسكننا وكانت ضجة المصنع تساعدنا على تغطية ضجة آلات الكتابة والطبع مما كان مفيدا جدا لنا من زاوية الأمان، وقد نجح عمال المصنع ذات يوم فى تنظيم إضراب وانقطعوا عن العمل، فكانت المرة الوحيدة التى تأسفنا فيها على نجاح إضراب عمالى لأننا اضطررنا لوقف عملية الكتابة والطبع.